# أوليـــــات التفكيكيـــــــة

**د. جمعة العربي الفرجاني**
**قسم اللغة العربية وآدابها- كلية الآداب-الزاوية**
**جامعة الزاوية**

**تقديم:**

تعد النظرية التفكيكية من أبر النظريات اللغوية الحديثة، والتي جاءت بعد البنيوية، حتى عرفت هذه النظرية بما بعد البنيوية، وإذا قلت ما بعد البنيوية فإن المقصود النظرية التفكيكيـــة، وإذا أطلق اسم جاك دريدا فالمقصود أيضا التفكيكية؛ لأنه هو المؤســـس الأول لهـــذه النظريـــة فاشتهرت باسمه.

وتعد التفكيكية من أهم الحركات التي جاءت بعد البنيوية في النقد الأدبي، وأثارت جدلا عنيفا وواسعا في الأوساط الأدبية والفلسفية عنـــد ظهورهـــا علـــى يـــد جـــاك دريـــدا ســـنة: (1930-2004م)، والذي ظل يصر على إعادة اكتشاف اللغة التي يكتب بها الكاتب، واعتبارها

جوهراً طيفياً يمكن لها أن تتجدد وتنمو، وبرزت أفكاره بخاصةٍ بعد صدور كتابه (في النحوية)، ودعا فيه إلى تطبيقها، ورفض السيميولوجية التي لم يؤيدها، وظلت بنظره علماً لم يظهر جلياً بعد، وأكدت التفكيكية على قيمة النّص، وأطلق عبارته المشهورة (لا وجود لشيءٍ خارج النّص).

ويعد الفيلسوف جاك دريدا(Jacques Derrida) أول من تحدث عن القراءة المزدوجة وعن مصطلح التقويض، جاء في معجم دليل الناقد الأدبي: "التقويض هو المصطلح الذي أطلقه الفيلسوف الفرنسي المعاصر جاك دريدا على القراءة النقدية المزدوجة التي اتبعها في مهاجمته للفكر الغربي الماورائي منذ بداية هذا الفكر حتى يومنا هذا[1].

## مفهوم التفكيكية:

هي منهاج أدبي نقدي، ومذهب فلسفي معاصر يذهب إلى القول باستحالة الوصول إلى فهم متكامل، أو على الأقل متماسك للنص أيًّا كان، فعملية القراءة والتفسير هي عملية اصطناعية محضة يقوم بها القارئ الذي يقوم بالتفسير، وبالتالي يستحيل وجود نص رسالة واحدة متماسكة ومتجانسة"[2].

وقيل إن التفكيكية: نظرية تفكيك النص، وإعادة بنائه، والتفكيك اشتق منه المصدر فك الارتباطات المفترضة بين اللغة وكل ما يقع خارجها[3].

فالتفكيكية تتركز في اعتبار الحقيقة مفهوم نسبي يعتمد على مواقف المثقف، وإطاره المعرفي الذي ينطلق منه المثقف الذي لن يكون محايدا أبدا.

## فهم المصطلح:

**يعد مصطلح:*Deconstruction*،** أي التفكيك من أهم المصطلحات الحديثة التي ارتكزت عليه النظرية، وحين عُقِدَ العزم على ترجمة هذا المصطلح إلى العربية حاول بعض

المترجمين أن يضع له مسمى: التفكيك، لكن مثل هذه الترجمة لا تقترب من مفهوم "جان جاك دريدا" حالها في هذا حال مصطلح: التقويض، على إن التقويض أقرب من التفكيك إلى مفهوم "دريدا"، فالتقويض على نقصه لا يلتبس بمفهوم: رينيه ديكارت وميكانيكية تفكيكه للمفاهيم، إضافة إلى ذلك فالتقويض لا يقبل مثل ما يذهب إليه أهل التفكيك في مقولة: البناء بعد التفكيك، كما إن مفهوم التقويض يتناسب مع الاستعارة التي يستخدمها "دريدا" في وصفه للفكر الماورائي الغربي؛ إذ يصفه باستمرار بأنه صرحٌ أو معمار يجب تقويضه، ولئن انطوى مفهوم التقويض على انهيار البناء، فإن إعادة البناء تتنافى مع مفهوم "دريدا" للتقويض؛ إذ يرى في محاولة إعادة البناء فكراً غائيا لا يختلف عن الفكر الذي يسعى "دريدا" إلى تقويضه[4].

ولقد وصف ملر (Müller) التفكيكية فقال: بأنها قوة عضلية توحي بتدمير النص وإنها في الوقت نفسه تعمد إلى بناء ما دمرته بشكل مختلف[5].

وممن أوقفه النص وبخاصة ترجمته، الدكتور عبد الوهاب المسيري، فقد أشار قائلاً: التفكيك بالمعنى العام هو فصل العناصر الأساسية في بناء بعضها مع بعض بهدف اكتشاف العلاقة بين هذه العناصر والثغرات الموجودة في البناء واكتشاف نقاط الضعف والقوة[6].

## اصطلاحات التفكيكية:

أطلق على التفكيكية عدة اصطلاحات أخرى للدلالة عليها، مثل: التأويلية، الجذرية الذي يطلقه "رينزر وكاتز" على التيارات الأساسية للفلسفة الأوروبية، ويمكن أن ترد إلى تأويلية جذرية أو تفكيكية، عند "فاتيمو"، ودريدا"، أو إلى تأويليه نقدية، عند هابر ماز، وعند فلتمر التأوليه الجذرية، وعند جاك دريدا تفكيك[7].

ويمكن أن يتم التفكيك داخل إطار فلسفي إنساني بهدف زيادة إدراكنا للواقع، وفي هذه الحالة فإن التفكيك أداة تحليلية لا تحمل أي مضمون أيديولوجي، ولكن يمكن أن يتم التفكيك في أطار أنموذج الطبيعة أي المادة والواحدية المادية بحيث يرد كل شيء إلى ما هو دونه حتى نصل إلى الأساس المادي[8].

## مؤسس التفكيكية:

وقبل الخوض في التفكيك والتفكيكية كان لزاما علينا أن نعرف من هو جاك دريدا في سطور: فهو رائد المدرسة التفكيكية في النقد، ويقال إن أصله يهودي فرنسي من أصل جزائري، اشتهر، وفي السنوات العشر الأخيرة كسب شهرة عالمية بعد أن كان له وزنه العلمي في الأوساط العلمية والفلسفية الأوربية.

ولد جاك دريدا (Jacques Derrida) في منطقة الأبيار، بالقرب من العاصمة الجزائرية (الجزائر) في 15/ يوليو / 1930م، من أصل يهودي، وتزوج في بوسطن بالولايات المتحدة الأمركية من مارغريت، وأنجبت له طفلين هما بيار، وجان، وفي سنة: **1973م نشر** دريدا أول ثلاثة كتب، فقد تناول مواضيع مختلفة، وكتب عن رموز فلسفية مختلفة[9].

ظهرت التفكيكية على يده في ثلاثة كتب أصدرها سنة: 1973م، وقد بدأ نظريته بنقد الفكر البنيوي الذي كان سائدا آنذاك بإنكاره قدرتنا على الوصول بالطرق التقليدية على حل مشكلة الإحالة، أي قدرة اللفظ على إحالتنا إلى شيء ما خارجه، وهو ينكر أن اللغة منزل الوجود، ويعني بذلك القدرة على سد الفجوة ما بين الثقافة التي صنعها الإنسان، والطبيعة التي صنعها الله، وما جهود فلاسفة الغرب جميعا الذين حاولوا إرساء مذاهب على بعض البديهات، أو الحقائق البديهية الموجودة خارج اللغة إلا محاولات بائسة كتب عليها الفشل[10].

إن الفيلسوف جاك دريدا (Jacques Derrida) يبدو وكأنه فيلسوف من نوع خـــاص، فهو مراوغ في لغته، وعنده دقة متناهية في فهم المصطلحات، وكان واعيا بالمفاهيم،. الشـــيء الذي دفعه بأن يكتب من عمق جنونه، هوية لا تشبه الثوابت، وكتابة لا تشبه العهود، لقد نعـــت جاك "دريدا" منذ سنوات خلت بشتى التهم الخطيرة التي تجعله على هامش الأخلاق ويسعده ذلك جدا؛ لأنه يفهم بأن منهجه هو الوحيد الذي يفكك، ولكن مناهج غيره لا يمكنها أن تفككه هو ذاته!

ومن أهم أعماله: الكتابة والاختلاف، الصوت والظاهرة، علم الكتابة، الانتشار، هوامش الفلسفة[11].

ولقد كان مؤلفه: علم الكتابة انطلاقةً مهمتها إزاحة الطبقات المتراكمـــة الواحـــدة بعـــد الأخرى دون توقف، ودون وضع حد لعملية التفكيك لكثافة ما يعلق بالنص من ترسبات لأرض بكر، فدريدا لا يثبت معنى إلا لينقضه، ولا يهتدي إلى مركز أو مسار إلا ليحوله مـــن مكانـــه، وليحيد به عن خطه، وينقله من قطبه في عملية لا تنبي عن الانحراف، وتبعد الشيء عن ذاتـــه وتشظيه حتى تضيع هويته خلف تراكمات من التحولات والتحويلات لا حد لها، بحيث تصـــبح غاية "دريدا" المسماة منهجية قوة تخريبية لا تلمس شيئاً إلا لتنسف مسلماته وتفجره شظايا، مـــن هنا تنبع صعوبة تتبع فكر "دريدا"، وتنظيم محاوره في وحدة جامعة، وتعد مدرسته واحدة مـــن أهم المدارس عند بعض النقاد والباحثين.

## أبعاد التفكيكية:

يرى سلفرمان أن تفكيكية "دريدا" تقوم على ثلاثة أبعاد أساسية، هي: [12]

1- تحديد الثنائيات المتقابلة التي يشتغل عليه التفكيك، فالخطاب الذي ينتجه الفضاء الغربي مرهق بجملة من الثنائيات منذ أفلاطون حتـــى اللحظـــة الراهنـــة، مثـــل: المحســـوس

والمعقول، والحضور والغياب، السلبية والفعالية، الدال والمدلول، الـــداخل والخـــارج، الشرق والغرب، ضمن هذا النسق ثمة أفضلية لأحد على الآخر، ومهمة التفكيك، إدراك ذلك أو كشفه إذ من خلال ذلك يمكن إعادة قراءة الفكر الغربي والوصول إلـــى نتـــائج مناقضة لما هو سائد.

2- النزوع نحو استخدام مفهومات ومقالات إجرائية غير محسومة، أو ما لا يمكن حســـمه، أو تحديده، فقد ألَّف "دريدا" في دراسته وقراءته استخدام بعض المقـــولات الرجراجـــة وغير ثابتة الدلالة، حيث لا يمكن الحسم في دلالتها، وهذا ينسجم ما روح التفكيك ذاتها من حيث كونه قراءة مؤقتة في انتظار قراءة قادمة، ولهذا يتكلم "دريدا" عن هذه الكلمات غير محسوسة الدلالة، والتي يوظفه في قراءته بأنها كلمات غير محددة.

فدريدا يريد أن يبتعد عن مركزية الخطاب النقدي، والتي تقوم على الثنائيات التفاضلية، وهو بذلك يتخلص من آثار تلك الثنائيات المدمرة والناظرة للفكر الغربي في تعامله مع الأطراف بوصفه المركز الذي لا توجد الأطراف إلا بوجوده.

3- إن استراتجية التفكيك في تعامله مع النصوص، بأن القراءة التفكيكية لا تســـلّم بنتـــائج القراءة، بل تعد القراءة المنجزة غير نهائية، ولهذا تمارس التأجيل الإرجاء عبر استخدام مفهوم الاخلاف والإختلاف، أي التأجيل والإرجاء والمتباينة، وتظهر ممارســـات هـــذا المفهوم في القراءات النقدية للنصوص الأدبية.

إن إحدى المزايا الأساسية لتفكيكية "دريدا" تتمثل في كونها أدركت إلى أي حـــد يعبـــر المقال، بوصفه بنية تتعلق بمستوى التحليل الذي يتناول نصا مؤلفا من سلسلة من الجمال عـــن إدارة القوة، أو إرادة الإرادة.

## ركائز المنهج التفكيكي:

اعتنى "دريدا" بركائز عدة في منهجه التفكيكي، والتي تعتمد على:

**أولاً**- كشف التفكيك عن الكتابة التي تقوم على الأسطورة والكذب لا على العلم والحقيقة، فالكتابة هي نتاج الصدفة الاعتباطية، والمعرفة المدونة تعني ترديد المدونات دون معرفتها، ودون معرفة أصولها؛ لأنها نشأت من الأسطورة كما يقول سقراط وفيدروس وأفلاطون[13].

**ثانياً**- إن عملية تفكيك النص في الكتابة عند "دريدا" ضرورية، ولكن كاذبة كما تصبح التفكيكية مأزقاً منطقياً؛ لأن الفاعل "الكاتب" هو ذات متعددة ومتناقضة كما هو النص متعدد ومتناقض، وهنا تستوجب الإحالة الدائمة لحضور المعنى مما يفتت الهوية الدلالية[14].

**ثالثاً**- يؤكد على أن التفكيك ليس كشف أوهام فحسب، بل استكشاف الفبركة التي يمارسها فنانون في فن الكتابة، ومن خلالها يوهمون الناس بكينونة الحقائق الكاذبة، وخصوصا في المسائل الخطيرة التي يتعطش لمعرفتها الناس ليس إلا أنها تمثل فبركات مهولة تشير إلى الفشل الأخلاقي المريع... وهذا ما تعاني منه أدبياتنا العربية المعاصرة[15].

والتفكيكية هي قراءة نقدية فلسفية مزدوجة للعمل من خلال نظامين: [16]

**النظام الأول:** يقوم عل تتبع الأساليب التعبيرية للكاتب التي تقوم عليها أفكاره، وما يصدره من آراء خلال كتاباته.

**النظام الثاني:** يقوم بتحليل دقيق للكلمات التي استخدمت للتعبير عن تلك الأفكار وفق أبعاد فلسفية تكشف لنا معطيات نفسية، ومركبات فكرية لصاحب العمل، وهي تشكل هجوماً على الكتاب؛ لأنها تكشف ما بتفكيرهم من تناقض مع أنفسهم نتيجة تناولهم لقضايا معينة.

## المعطيات النقدية التي قدمها جان جاك دريدا:

قدم دريدا معطيات نقد بها فكرة قراءة النصوص المراد تصورها في خياله والمركبة في ذهنه، بإمكان نقض فكرته بالمعطيات الآتية:

### أولاً- الاختلاف:

الاختلاف إلى السماح بتعدد التفسيرات انطلاقا من وصف المعنى، وعدم الخضوع لحالة مستقرة، وبين الاختلاف منزلة النصية في إمكانيتها تزويد القارئ بسيل من الاحتمالات، وهكذا الأمر يدفع القارئ إلى العيش داخل النص، "والقيام بجولات مستمرة لتصيد موضوعية المعنى الثانية، وترويج المعنى، والقيام حسب" دريدا" يخضع دائما للاختلاف، والمعنى من خلال الاختلاف، يوجد تعادلات مهمة بين صياغات الدول، والاطمئنان النسبي إلى اقتناص الدلالة"[17].

وقد ينطبق هذا على قراءتنا لنص موزون ومقفى، حيث تختلف تفسيراتنا لبعض أبيات القصيدة الواحدة وأخيرا نصل إلى أن نقول إن المعنى في بطن الشاعر.

ويستمد الاختلاف تموضعه في المشروع النقدي التفكيكي من خلال سمتين:[18]

1- إنه يقوم على اختلاف الدوال، وينتج عنه اختلاف المدلول، وتقديم لغة الكتابة على لغة الحديث، أو تقديم المكتوب على المنطوق.

2- يتخذ الاختلاف عادة شكل الثنائيات المتقابلة أو المتضادة، مثل: الخير، الشر، الطبيعة، الحضارة، الإنسان، البنية.... إلخ، والعلاقة بين الدال والمدلول في الثنائيات المتضادة تقليدية وليست منطقية.

إن المهمة الوظيفية للاختلاف هي ما يصطلح عليه "دريدا" بالكتابة البدائية، وهي "نمط من الكتابة سابق للكتابه نفسها، بمعنى ذات ميزات قبلية متصورة للكتابة قبل تجربة الكتابة، فهي

بذلك تنتج شكل الحضور، وعادة ما تكون أنظمتها موضوعية بالنسبة لموضوعها، وكل أشكال المعرفة الأخرى"[19]، وهو فعالية حرة غير مقيدة عند دريدا، حيث يعرف الاختلاف " إن الاختلاف لا يعود ببساطة لا إلى التاريخ ولا إلى البنية، فالاختلاف يوجد في اللغة ليكون فيها، أو هو الشروط لظهور المعنى"[20].

## ثانياً- نقد التمركز حول العقل:

إمكانية كبيرة في فحص الخطاب الفلسفي، ويقوده ذلك إلى احتكار التكثيف بمعنى قيام بنية مركزية تدعي لوحدتها.

ويقصد به "دريدا" التظافر لتأسيس بينية قوية في خارطة الفكر، ويعتمد على اقتحام سيكونية الميتافيزيقا، وإعطاء الكلمة المنطوقة قيمة عالية، وذلك بسبب حضور المتكلم والمستمع وقت صدور القول، فليس هناك فاصل زماني أو مكاني بينهما، فالمتكلم يستمع في الوقت الذي يتكلم فيه، وهو ما يفعله المستمع في ذات الوقت، والسمة المباشرة في الفعل الكلامي تعطي قوة خاصة في الفهم المباشر سواء تحقق كاملا أو غير كامل[21].

**نقد التمركز المنطقي عند دريدا:**

ومن أبرز الحقول المعرفية التي امتد إليها نقد "دريدا" حول التمركز المنطقي، وهي في الحقيقة منظومة حقول معرفية متداخلة تصدى لها بمنهجية التفكيكية في القراءة؛ لكشف مظاهر التمركز المنطقي فيها، وهي:[22]

1- الأولية الابستمولوجية: ولقد عدّ العقل والإدراك مركزا للحضور، وفي الحقيقة إنهما ليسا إلا نتاجا لوحدة العقل والحقيقة، فالوعي يحضر حالا من تلقاء نفس.

2- الأولية التاريخية: تتحقق انطلاقا من الماضي صوب المستقبل في ثلاث حالات: التمظهر، تعالي الأشكال، ومقولات الخالق.

3- الأولية الجنسية: تتحقق بواسطة حضور الذكورية المتمثلة في سلطة الرجل، والغياب عند المرأة باعتبار حالة النقص.

4- الأولية الوجودية: أهم الحقول المنهجية لدى "دريدا" لما يمثله الوجود من حضور ذاتي صاف مقابل الغياب العدم.

5- التأويل الأدبي: تتجه إلى التعدد القرائي الناتج عن التأويل، والسعي إلى التعدد اللانهائي للمعنى.

وهنا يصر "دريدا" على أن لكل تركيب مركزا سواء كان تركيبا لسانيا، أم غير لساني، فلسفيا أم غير فلسفي، وحَملُ التّركيب لمراكز محددة يعطي أهمية لحركة الدوال؛ لأن المركز هو الجزء الحاسم من التركيب، وإنه النقطة التي لا يمكن استبدالها بأي شيء آخر، ويجب التفريق بين أهمية المركز بالنسبة للتركيب النصي، وبين نقد التمركز، فالمركز شيء إيجابي لحركة الدلالة والمعنى، أما التمركز فهو شيء مفتعل يضفي المركزية على من هو ليس بمركز، ويقود ذلك إلى احتكار التكثيف، بمعنى قيام بنية مركزية تدعى لوحداتها النموذج المتعالي الذي يصح تطبيقه على كل نص في زمان غير مقيد، وتوجهه في هذا الإطار كان منصبا على نقد التمركز، بوصفه دلالة سلبية، ومدح المركز بوصفه العنصر المشع للدلالة، والنقطة التي ينبثق منها اختلاف المعنى[23].

## ثالثاً- نظرية اللعب:

تهدف هذه النظرية إلى تمجيد التفكيكية، وتأكيد المعطى الثقافي للفكر والإدراك، وكما تهدف إلى تمجيد التفكيكية لصيغة: اللعّب الحرّ، اللامتناهي لكتابة ليست منقطعة تماماً عن

الإكراهات المغيّبة للحقيقة، وتأكيد المعطى الثقافي للفكر والإدراك، وغياب المعرفة السطحية المباشرة، واستلهام أفق واسع من المرجعيات الفكرية المماثلة، والفلسفية المعقدة، والنظم المخبوءة، وطرائق التحليل الخاصة، وبالرغم من الصيغة التي يرتضيها التحليل التفكيكي لنظرية اللعب القاضية بإحالة الدال إلى دال آخر مع تغيب معتمد للمدلول، إلا أن تلك الصيغة محكومة بمجموعة آليات، تشبه القوانين يسطرها الناص، أي الواضع، ويستخدمها المتلقي (اللاعب)، وقد حددها بيتر هوجنسون (Peter Johnson) تلك الآليات فيما يأتي: اللغز، التخطيط، الكناية، الوهم، الغموض، المونتاج والكولاج، الأسطورة، الهذيان، المفارقة، الهزل، التسلية، الأضحوكة، الجناس، الاقتباس، الرموز، وتعمل هذه الآليات على تلون الدال، وتعدد القراءات، وتشظي الدلالة، وانتشار المعنى بشكل متواصل؛ إذ إن الجانب الجديد في التحليل والطرح والتنظير التفكيكي، هو كونه مغامرة كشفية لامعة، أو مجموعة من الدعايات والإحالات النصية، والفواصل الفانتازية، والمحاكاة التهكمية الأسلوبية، والحوارات الفلسفية الزائفة[24].

## رابعاً- علم الكتابة:

نقد من خلالها مسيرة العقلانية، وتشكل خطابها الفلسفي، ومجمل علم الكتابة يفيد نقد ثنائية فرديناند دي سوسير (Ferdinand de Saussure).

وعلم الكتابة مصطلح يستخدمه للدلالة على الفرق بين مفهوم الكتابة الدارج، ومفهومه عند التفكيكيين، فهو مصطلح دال صِرْفٌ، أمّا في النظرية التفكيكية فهو إدراك جديد لوظيفة الأثر، هذا الادراك الجديد بأن شيئاً ما، شيئاً غائباً، قد ترك بصماته الظاهرة التي هي الأثر، وقد اشتغل عليه "دريدا" عليه كثيرا، فهو مفهوم الكتابة ومقابله الصوت، والكتابة تستوعب الكلام والكتابة، تتجاوز مفهوم اللغة، وتنطوي عليه، ويقول "دريدا" في ذلك "إن تسمية اللغة كانت تطلق على كل من الفعل والحركة والفكر، والتفكير والوعي واللاوعي، والتجربة والعاطفة..... وها

نحن اليوم نواجه نزوعاً لإطلاق تسمية: كتابة على هذه الأشياء جميعا وسواها، لا لتسمية الحركات الجسمانية التي تستدعيها الكتابة الحروفية أو التصويرية فحسب، وإنما كذلك على كل ما يجعله ممكنة، ومن ثم وفي وراء الجانب الدال على الجانب المدلول عليه نفسه وعبر هذا كله"[25].

وهي أي الكتابة تكتسب أهميتها من خلال التمركز حول العقل، حيث يصبح الكلام مستحيلا، وبذلك يضع الكاتب أفكاره على الورقة، فاصلا إياها عن نفسه، ومحولا إيها إلى شيء قابل لأن يقرأ من شخص آخر بعيد، حتى بعد موت الكاتب، وهذا يفتح الآفاق لمزيد من الاحتمالات، ومن هنا ينشأ الاختلاف الكبير بين الكلام والكتابة[26].

وقد أكد تودوروف (Todorov) أن الكتابة تقدم للغة بوصفها سلسلة من العلامات المرئية التي تعمل في غياب المتكلم، وأن تلك العلامات تعمل على تقديم دلالاتها لطابع الاختلاف الذي يسودها، وتمتاز تلك العلامات بخصائص تمتلكها الكتابة، ولا يمتلكها الكلام، هي: [27]

1- يمكن تكراراها مع غياب سياقاتها المختلفة.

2- قدرتها على تحطيم سياقها الحقيقي، وقراءتها ضمن أنظمة سياقات جديدة.

3- قابليتها على الانتقال إلى سلسلة جديدة من العلامات لتشكيل فضاء جديد لمعنى.

4- قدرتها على الانتقال من مرجع حاضر إلى مرجع آخر في السياق النصي.

## خامساً- الحضور والغياب:

وهي الأداة الأخيرة لدى فلسفة "دريدا" النقدية، والتي تقوم على تحرير الدوال من مدلولاتها المعجمية، وتحويلها إلى آثار عائمة منفلتة من هيمنة كل رقابة خاصة، ليصبح النص معها كشفاً رؤيويا عما هو منحجب ومختلف عن الرؤيا.

وهي تتويج نقدي للمعطيات السابقة؛ لأنه يمثل الثمرة المعرفية، وهي في حقيقتها محاولة لكتابة تاريخ ذلك النص، وهي من أهم المرتكزات التي اعتمدها دريدا؛ لأنّ جميع إجراءات العملية النقدية للتفكيك تخضع لحضور الدوال وتَغَيُّب المدلول، فضلاً عن أنّ معطيات الاختلاف، ونقد التمركز، ونظرية اللعب، والكتابة، تبرز فيها بشكل مباشر ثنائية الحضور والغياب، وقد انطلق دريدا من خلال هذه الثنائية لنقد توجه الخطاب الفلسفيّ الغربيّ، وتقويض أُسسهِ من خلال كشف تناقضاته، واللّعب بأنظمته وممارساته، وتحويل معادلته المعرفية من ميتافيزيقيا الحضور إلى غياب المعنى واختلافه وتعدده.

يقول دريدا: "إنما النص حضور وغياب، وجود ونقص، وباستحضار الغياب وإتمام النقص يصبح حقيقة ذات أبعاد لا متناهية، ويتأسس معناه، وعلى القارئ أن يشيّد ويمد الجسور في مساحة الفراغ بين دوالّ تعوم، ومدلولات سابحة، فالنص شعرا كان أو نثرا بما هو غائب، لا بما هو حاضر بدلالاته الإيحائية، لا بمعطياته التقريرية المباشرة، وهذا ما يحرر الذات من هيمنة السلطوي الخارجي، ويمنحها فرصة كتابة مأزقها عشقها في لغة الغياب[28].

## سادساً- القراءة:

ففي القراءة يلاحظ "دريدا" على النصوص أنها ليست متجانسة دائما، ويحدد مطلبه من القراءة؛ إذ يقول: " ما يهمني في القراءات التي أحاول إقامتها هو ليس النقد في الخارج، وإنما الاستقرار والتموضع في البنية غير المتجانسة للنص، والعثور على توترات، أو تناقضات داخلية، يقرأ النص من خلالها نفسه، ويفك نفسه، ومعنى يفكك النص نفسه، بأن يتبع حركة مرجعية ذاتية، حركة النص لا يرجع إلا إلى نفسه، ولكن هناك في النص قوى متنافرة تأتي لتقويضه وتجزئته"[29].

**أهمية المنهج التفكيكي:**

التفكيك يعد آلة تفسيرية، حيث يمكّن الباحث من التعمق والاندماج في صلب الموضوع، ومن ثَمَّ التحكم فيه، ويوصله إلى الإجابة على الأسئلة والاستفسارات التي تبدو له غامضة في أول الأمر فيزيل غموضها، ويَعْمُد إلى الأفكار المنغلقة على الفهم فيَفُكُّ انغلاقها، وعند الولوج في الموضوع وتحليله، والغوص فيه وتفكيكه، يتضح المقصود منه، ويتجلى للفكر ما فيه، وانعدامُ التفكيك أو ضعفه يؤدي به إلى الانحراف، وتوفُّره مع قوته يوجِّهه إلى إدراك الحقِّ والإنصاف، ويقوده إلى إدراك مدى صحة الأفكار، وملاءمتها للواقع والمصلحة، ولمزيد إجلاءٍ لأهمِّية التفكيك فهناك جمعا من الأمثلة تُبيِّن مدى قيمة إتقان هذا المنهج، منها: التفسير التفكيكي الذي يعتمده بعض المفسرين فيتوصلون إلى حقائق مذهلة من خلال تحليل آي القرآن، واعتمادُ الفلاسفة له قديما وحديثاً منهجاً لإدراك الحقائق الخفية والتوضيح والبيان، وتكمن أهمية المنهج في:[30]

1- وصف الظروف والممارسات في المجتمع.

2- إبراز الاتجاهات المختلفة.

3- إبراز نقاط الضعف.

4- تطوير القراءة / الأداء.

5- إظهار ظروف الممارسات في المجتمع.

فأهمية المنهج التفكيكي للمناهج الأخرى تعد خطوة مهمة لأغلب مناهج التفكير، فعملية التفكيك أداة لا غنى عنها في المنهج البنيوي، وكذلك في المنهج التركيبي، حيث يركب الباحث ما سبق تفكيكه، فالتفكيك إذن عمل مساعد، وليس هدفا في حد ذاته.

**مميزات المنهج التفكيكي:**

يتميز المنهج التفكيكي بالعديد من المميزات جعلته ينهض بالنظرية ويساعد على تطورها وانتشارها، وتلقفها من قبل الباحثين وتطبيقها على اللغة، وهذا المنهج: [31]

1- يمكِّن الباحث من التعمق والاندماج في صلب الموضوع، أو النص.

2- يساعد الباحث على الوصول إلى إجابات عن الأسئلة التي تثار حول النص، وذلك بفضل قدرة التفكيك على التفسير الذي يزيل الغموض.

3- يظهر الغايات المقصودة من النص بوضوح ودون تزيد على صاحبه، أي الكاتب.

4- إظهار المعاني الدفينة في النص، وإجلاء مضامينه الغائبة والدفينة على نحو دقيق.

**خصائص التفكيكية:**[32]

1- زعزعة بنية اللغة، وخلخلة الحصن المنيع لها؛ لأنها قوضت وحدة العلاقة المستقرة بين الدال والمدلول.

2- أكدت التجاوب بين النص والقارئ هو إنتاجه، بعد أن كان التجاوب عند البنيوية بين النص ونفسه.

3- طال التحليل النقدي لما بعد البنيوية الميتافيزيقا، ومفاهيم العلة، والهوية، والذات.

4- استكشاف إمكانية الشهوة، وطاقتها عبر الاستفادة من معطيات التحليل النفسي؛ لأن تحليل ما بعد البنيوية تهيمن عليه الدلالات الجنسية.

5- خلقت ما بعد البنيوية مسافات توتر شديد بين اللغة وعلاقتها بالإنتاج، والآلة، والشهوة، والمادة، والاستهلاك.

6- تبنت ما بعد البنيوية جميع أطروحات (نيتشة) في مسيرتها النقدية التي بالعداء لفكرة النظام، ورفض فكرة هيجل للتطور، وانتقاد مسيرة التشابه، والتطابق، والدعوة إلى الاختلاف، والاهتمام البالغ بالقدرات الخارقة للفرد وإمكانياته غير المحدودة

7- مناصبة العداء لكل أشكال النظرية السياسية، والمعتقدات المختلفة التي أسهمت في تحجيم الممارسات الاجتماعية والتأثير عليها.

**فوائد استخدام المنهج التفكيكي:**

ومن فوائد هذا المنهج:[33]

1- وصف الظروف والممارسات في المجتمع.

2- إبراز الاتجاهات المختلفة.

3- الكشف عن نقاط الضعف.

4- تطوير الأداء.

5- إظهار الفروق في الممارسات.

6- تقويم العلاقات بين الأهداف المرسومة وما يتم تطبيقه.

7- الكشف عن اتجاهات الناس وميولهم.

**آليات التفكيكية:**[34]

1- العلم الواسع بالموضوع.

2- أن يتمتع القارئ بالذكاء والفطنة.

3- ممارسة النقد خاصة بالنقد التفكيكي.

4- فسح وإتاحة للمجال الفكري في التعمق.

**عيوب التفكيكية:**[35]

وبالرغم من تلك المميزات والفوائد ألا أن لها عيوبا يمكن أن تؤخذ عليها، وغالبا هـذه العيوب ما تتعلق بالقارئ الذي يفك النص بفكر يخالف فكر الكاتب، وتندرج العيوب في:

1- القارئ يفكك النص وفق آليات تفكيره.

2- يعتمد القارئ على آليات الهدم والبناء من خلال القراءة.

3- يهدم القارئ ويُقوّض المنطق الذي يحكم النّصّ.

4- إن التفكيكية منهج في الدراسة النقدية تعتمد في أصلها على رفض كل ما هو غيبي.

**نقد المنهج التفكيكي:**

التفكيكية منهج نقدي صعب وخطير؛ لأنها تقوم على نقد وتفكيك المفاهيم السائدة، وقامت على التشكيك وزعزعة كل ما هو يقين، ولذلك فإنها:[36]

1- شككت في العلاقة بين الدال والمدلول والمعنى المتولد عنها، وهو ما لا يقبله المنطق.

2- ألغت المؤلف والحكم عليه بالموت، وبهذا يصبح المؤلف ناسخا لنصوص أدبية.

3- تجاهلت مواهب الأدباء وتمييزهم.

4- تركزت على الكتابة ونفت الأشكال الأخرى.

5- تعسفت في الاحتكام إلى اللغة، وإقصائها للملابسات الخارجية جميعا.

6- انطلقت من التشكيك في العلم، ثم تحول الشك في كل شيء.

7- استخدمت النظرية مصطلحات غير واضحة، وصارت غامضة، سـعيا منهـا لإبهـار القارئ وإقناعه بأن ما يقال هو استثنائي، وغير عادي ومتميز.

8- شككت في اللغة ونتج عن ذلك شك في كل قراءة، أو تأويل للنصوص، وهكذا فتحت التفكيكية الباب على مصراعيه لتعدد القراءات القرآنية.

**منتقدو التفكيكية:**

تعرضت النظرية للعديد من الانتقادات ومن بين ردود الأفعال التي أثارتها النظرية انتقادات عديدة لعل أهمها في نظر ميجان الرويلي وسعد البازعي على أنها رغم قدرتها التقويضية على زعزعة المسلمات التقليدية الميتافيزيقية الغربية تصل في النهاية إلى "غموض محير"، فدريدا لم يقدم بديلا عن مسلمات الميتافيزيقا الغربية بعد أن قوضها، بل إن البديل نفسه كما يرى دريدا نفسه سيتسم بسمات الميتافيزيقا لا محالة، لذا اكتفى دريدا بالتقويض، ويذهب الرويلي والبازعي ويشاركهما في ذلك عبد الوهاب المسيري إلى أن التفكيكية تدين بمنهجها لممارسات التفسير التوراتي اليهودي وأساليبه، فكل ما فعله دريدا هو نقل الممارسات التأويلية للنصوص المقدسة اليهودية وتطبيقها على الخطاب الفلسفي، مرسيا بذلك دعائم ما ورائية لاهوتية مألوفة لتحل محل الميتافيزيقا الغربية، أما المسيري فيرد الأفكار الرئيسة في نظرية دريدا إلى أصولها اليهودية، ففي مداخل: الأثر، تناثر المعنى، الهوة، الكتابة الكبرى والأصلية، التمركز حول المنطوق، من موسوعته يورد تأصيلا فكريا تاريخيا لهذا الأثر الواضح ليهودية دريدا وللفكر اليهودي في نظريته النقدية[37].

وقد نقل الدكتور عبد العزيز حمودة في "المرايا المحدبة" نماذج عديدة من النقد الذي وجه للتفكيكية في الغرب، فمثلا ليتش يقول في تمهيده لدراسته عن التفكيكية إنها باعتبارها صيغة لنظرية النص والتحليل تخرب كل شيء في التقاليد تقريبا، وتشكك في الأفكار الموروثة

عن العلاقة واللغة والنص والسياق والمؤلف والقارئ ودور التاريخ، وعملية التفسير، وأشكال الكتابة النقدية، وفي هذا المشروع فإن الواقع ينهار ليخرج شيء فظيع[38].

أما جون إليس (John Ellis) وهو أحد أشهر منتقدي التفكيكية فيقول: "هناك وسيلة يلجأ إليها التفكيك للحفاظ على صلاحيته: تتم صياغة الموضوعات في مصطلح جديد وغريب وهو ما يجعل المواقف المألوفة تبدو غير مألوفة، ومن ثم تبدو الدراسات المتصلة غير متصلة، إن الهجوم على نظرية إحالة المعنى يترجم إلى هجوم على ميتافيزيقا الحضور برغم أن الاثنين يعبران عن الرأي الساذج القائل بالعلاقة بين الكلمات والأشياء، لكن المصطلحات تجعل الموضوع يبدو مختلفا"[39].

**الخلاصة:**

1- يمكن القول إن النظرية التفكيكية بحاجة إلى الكثير من التحليلات الجديدة.

2- إن المحاولات يقوم بها أي ناقد يحاول تحليل هذه النظرية لا تحتاج إلى التعريف بالتفكيك بالضرورة؛ لأن مثل هذه النظرية المعقدة والشائكة تمتنع عن التعريف.

3- بإمكان المرء محاولة تفسير المصطلحات الأساسية التي شكلها دريدا لتدمير النقد التقليدي وتسهيل فعل التفكيك.

4- قام دريدا بإلغاء المؤلف، وأبعده عن النص المكتوب، وجعله في يد القارئ يتعمق فيه بذكائه.

5- النظرية تبرز الاتجاهات المختلفة، بالكشف عن نقاط الضعف، وإظهار الفروق، وتطور الأداء لدى الناس.

**هوامش البحث :**

1- ينظر: دليل الناقد الأدبي، للدكتور: ميجان الرويلي، والدكتور:سعدالبازعي، المغرب، سنة: 2002م، ص، 107.

2- السابق، ص: 122.

3- ينظر: النظرية التفكيكية، نظرة عن قرب، لعلي عبد الواحد عبد الحميد، سنة: 2012/2011م، ص: 06.

4- ينظر: دليل الناقد الأدبي، للدكتور: ميجان الرويلي، والدكتور: سعد البازعي، ص: 107 .

5- ينظر: اليهود واليهودية والصهيونية، للدكتور: عبد الوهاب المسيري، طبعة القاهرة، سنة: 1999م، ص: 258.

6- السابق، ص: 258.

7- ينظر: تحولات التأويلية، لرينر روكاتز، ترجمة فريق الترجمة بمجلة العرب والفكر العامي، العدد التاسع، شتاء: 1990م، ص: 57.

8- ينظر: اليهود واليهودية والصهيونية، للدكتور. عبد الوهاب المسيري، طبعة القاهرة، سنة: 1999م، ص: 258.

9- ينظر: أركيولوجيا التوهم، انطباع فرويدي، ترجمة عن الفرنسية: عزيز توما، ص: 08.

10- النظرية التفكيكية، نظرة عن قرب، لعلي عبد الواحد عبد الحميد، سنة: 2011/ 2012م، ص: 07.

11- ينظر: المصدر السابق، ص: 12.

12- ينظر: نصيات بين الهرمينوطيقا والتفكيك، ج. سلفرمان، ترجمة: ناظم حسن، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، سنة: 2002م، ص: 106- 108.

13- ينظر: النظرية التفكيكية، نظرة عن قرب، لعلي عبد الواحد عبد الحميد، ص: 23.

14- ينظر: السابق، ص: 26.

15- ينظر: تحولات التأويلية، لرينر روكاتز، ترجمة فريق الترجمة بمجلة العرب والفكر العامي، العدد التاسع، شتاء: 1990م، ص: 78.

16- ينظر: المصدر السابق، ص: 81.

17- مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، معرفة الآخر، لإبراهيم عبدالله وآخرون، ص: 124.

18- ينظر: فلسفة التفكيك عند دريدا، لمحمد سعد الله، موقع مجلة الورشة الثقافية: بتاريخ: 2006/6/26م، العدد: 417، ص: 01.

19- مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، معرفة الآخر، لإبراهيم عبدالله وآخرون، ص: 121.

20- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، لسعيد علوش، بيروت لبنان، الدار البيضاء، دار الكتاب اللبناني، سنة: 1985م، ص: 86.

21- ينظر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، معرفة الآخر، لإبراهيم عبدالله وآخرون، ص: 125.

22- ينظر السابق، صفحات مختلفة.

23- ينظر: مدخل إلى فلسفة جاك دريدا، لسارة لحوخمان، وروجي لابورت، ترجمة: إدريس كثير، وعزالدين الخطابي، ص: 43.

24- ينظر: التفكيك، لسعيد الغانمي، مجلة آفاق عربية، العدد: 5، لسنة: 1992م، ص: 66.

25- الكتابة والاختلاف، جاك دريدا، ترجمة كاظم جهاد، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، سنة: 1988م، ص: 104.

26- مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، معرفة الآخر، لإبراهيم عبدالله وآخرون، ص: 131.

27- فلسفة التفكيك عند جاك دريدا، لمحمد سعد الله، ص: 3.

28- ينظر: التفكيك، جاك دريدا، ترجمة وتقديم: فريد الزاهي، سلسلة المعرفة الفلسفية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، سنة: 1992م، ص: 45.

29- فاعلية القارئ في إنتاج النص، المرايا اللامتناهية، لعبد الكريم درويش، مجلة الكرمل، سنة: 2010م، ص: 209.

30- ينظر المذاهب النقدية الحديثة مدخل فلسفي، لمحمد شبل الكومي، تقديم: محمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة: 2004م، ص: 315.

31- ينظر: النقد الأدبي من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة، الطبعة الأولى، سنة: 2003م، ص: 110.

32- بعض التيارات فيما بعد البنيوية أو شجرة الأنساب النيتشوية، ترجمة: خميسي أبو غرارة، مجلة نزوى، عُمان، العدد: 20، لسنة: 1999م، ص: 01.

33- ينظر: نصيات بين الهرمينوطيقا والتفكيك، ج. سلفرمان، ترجمة: ناظم حسن، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، سنة: 2002م، ص: 106.

34- ينظر: النقد الأدبي من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة، الطبعة الأولى، سنة: 2003م، ص: 142.

35- ينظر: النقد الأدبي من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة، الطبعة الأولى، سنة: 2003م، ص: 137، وينظر: المذاهب النقدية الحديثة مدخل فلسفي، محمد شبل الكومي، تقديم: محمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة: 2004م، ص: 248.

36- ينظر: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، إبراهيم محمود خليل،دار المسيرة، الطبعة الأولى، سنة: 2003م، ص: 116، وينظر: مناهج النقد الأدبي الحديث، وليد قصاب، ص: 211.

37- ينظر: دليل الناقد الأدبي، للدكتور: ميجان الرويلي والدكتور: وسعد البازعي، دون ناشر، سنة: 1415 هـ، ص 54 – وينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – نموذج تفسيري جديد، لعبد الوهاب المسيري، دار الشروق، مصر، الطبعة الأولى، سنة: 1999م، المجلد الخامس، ص: 420- 440 .

38- ينظر: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، لعبد العزيز حمودة، سلسلة عالم المعرفة، رقم: 232، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998م، ص: 291–292.

39- المصدر السابق، ص 296.